

## الأساسيات التربوية لمرحلة ما بعد الطلاق

### د. لطيفة الكندري

تعتبر قضية الطلاق من القضايا الاجتماعية الكبرى والحساسة في هذا العصر وذات تأثير بالغ على كيان الأسرة عموماً ومستقبل الأطفال خصوصاً. إن معدلات الطلاق المخيفة تتزايد مع زيادة تعقيد متطلبات الحياة وانتشار أنماط معيشية جديدة ويترتب على ذلك زيادة عملية التثقيف لإعادة التأهيل الأسري داخلياً وخارجياً ، نفسياً واجتماعياً بغرض التغلب على إفرازات ومضاعفات التصدعات الأسرية.

وقد يؤثر الطلاق سلباً على تربية الأطفال ويعوق عملية التنشئة النفسية والاجتماعية السليمة لديهم إذا لم تتم تسوية الأوضاع وفق ضوابط عادلة تراعي مصلحة جميع الأطراف فتوزع جميع المسؤوليات بما يتفق مع مصلحة الأسرة حاضراً ومستقبلاً.

قبل قدوم عاصفة الطلاق يمر الزوجان غالباً في فترة اتساع هوة الشقاق وتضعف ميكانيكيات الوفاق تدريجياً وهي مرحلة يطلق عليها البعض مرحلة الطلاق العاطفي ( Emotional Divorce) بين الزوجين, ومن علامات هذه المرحلة فتور أو جفاف مشاعر الود بين الزوجين، وإهمال الأطفال من خلال التسوية في إشباع حاجاتهم والتفكير الآني المقرون بالغضب وعدم القدرة على ضبط الانفعالات مما يولد المزيد من التأزم في المناخ العائلي والتوتر والتهور وضعف السيطرة على التصرفات والمشاعر.

وفي مرحلة الطلاق قد تصاحب الحياة الاجتماعية تحديات ومشاكل اقتصادية ونفسية وتربوية تنعكس سلباً على الأطفال إذا لم تكن للوالدين رؤية تتعالى على الجراح وتقدم المصلحة العامة (مصلحة الأولاد) على المصلحة الخاصة (مصلحة كل زوج على حدة). تقتضي الحكمة عدم إهدار الطاقات عبر المشاحنات البغيضة التي تتخللها عبارات التشفي أو الانتقام عند وقوع الطلاق ولا يليق أبداً استغلال وضع الأطفال كورقة ضغط ومساومة لفرض رأي أو الحصول على مكاسب قانونية لأي طرف من الأطراف.

وفي مرحلة ما بعد الطلاق فيحدث - كما يسميه البعض - الطلاق النفسي (Psychological Divorce) وهذه المرحلة تتطلب من الوالدين والأطفال تكيفاً جذرياً وشاملاً مع ظروف الحياة الجديدة. وقد يقتنع بعض الأبناء في هذه المرحلة من الطلاق على أن الزواج عموماً تجربة قاسية، ولا يجب التفكير في الزواج في المستقبل بسبب انفصال أبويه.

لا يمكن حل جميع التحديات التي تواجه الأسرة في هذه الفترة العصبية ولكن يمكن للأبوين تقديم النافع لأطفالهم حتى يجتازوا هذه المرحلة بأخف الأضرار وهو أمر ممكن وهذه مرحلة انتقال من حال إلى حال ولا بد من مراعاة التدرج في تفهيم الأبناء طبيعة التغيير الذي سيلحق بكيان الأسرة. إن من رحمة الله سبحانه وتعالى أن الإنسان يمتلك طاقات نفسية عظيمة يستطيع من خلالها أن يتكيف مع الظروف الجديدة فيتفنن في فتح مسارات تسع التغييرات، وتواكب التطورات ولهذا فإن النظرة التفاضلية دائما توجد المخارج المناسبة لتنتقل سفينة الأسرة رغم العقبات. إن الإنسان سريع التألم مع الجديد إذا حدد أهدافه، ونظم خطواته وعلم أن نسمات السعادة هبة من الله في قلوبنا وليست عند أحد من البشر مهما كان مقربا لنا.

تبين النقاط التالية بعض الاستراتيجيات لتخفيف الآثار الناجمة عن الطلاق:

- ستر العيوب من أخلاقيات الفراق الجميل. يقول الحق تبارك وتعالى "وَلَا تَسَوُّاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ" (سورة البقرة: الآية: 237).
- احترام الأبوين بعضهما البعض وخاصة أمام الأطفال خلق يكشف عن معدن أصيل يحتاج إليه الأطفال لسلامة البناء النفسي عندهم.
- بيان القدر المشترك من أوجه الاتفاق مع التأكيد على هدف لا يمكن التنازل عنه وهو أن الطلاق لن يقلل من حبهم لأبنائهم وبناتهم ولن يمنع من بذل المستطاع لتوفير حياة كريمة.
- عدم التقليل من شأن الأب أو الأم أثناء الزيارات العائلية.
- إن تحسين نوعية الحياة الأسرية عملية مستمرة تتطلب تعاون الجميع وعملية تصفية الحسابات الشخصية من أشد المسائل الخطرة التي يجب الابتعاد عنها نهائيا لضمان تكيف سليم.
- عدم التقوقع في آلام الماضي والاكتفاء بالتذمر واللوم وجلد الذات فالطفل لا ذنب له ومن الظلم أن نحمله نتاج تجاربنا الماضية.
- الاهتمام بالجانب النفسي والاجتماعي والاقتصادي للطفل.
- متابعة الطفل دراسيا.
- رؤية الطفل للأبوين بشكل منتظم والتواصل معهم بمودة.
- غرس مفهوم الثقة بالمستقبل وقدرة الإنسان على التغلب على التحديات الاجتماعية وغيرها.
- ومن الركائز العقلية التي يحتاج لها من يمر في مرحلة الطلاق الإدراك بأن سنن الحياة لا تخلو من الاختبارات وأن من أشكال البر بالوالدين إسدال الستار على خلافاتهم

الماضية فالرياح قد تجري بما لا تشتهي السفن والطباع البشرية معرضة للاختلافات بدرجات وأنواع متفاوتة.

- تحديد الأدوار والمسئوليات بين الأبوين بشكل واقعي ومرن.
- توفير أكبر قدر من الدفء والحنان للطفل لتكوين رؤية متفائلة للحياة أساسها تحمل المسؤولية.

ولقد جلست أثناء تقديم الاستشارات الأسرية مع عدد من المطلقات استطعن بفضل الله سبحانه بناء حياة جديدة لهن من دون التفريط بحقوق أطفالهن وأفلحن في تكوين حياة سعيدة ومستقرة ومليئة بالحب رغم سلسلة العوائق التي تبرز من لآخر فتقل الإنتاجية أحيانا ولكن في نهاية المطاف لا تزيدهن إلا إصرارا واستبصارا .

ومن جهة أخرى استمعت لنسوة محبطات لا يعرفن إلا لغة التقاعس حتى خاصمن كلمة الطموح وأصبح تفكيرهن في أحداث وآهات وجراحات الأمس وهؤلاء يحتجن إلى جرعات من النشاط والثقة بقدراتهن في التكيف مع التغيرات الاجتماعية عبر معالجة الأمور بالحكمة لا الرثاء. وفي مثل هذه المواقف أحاول أن أسرد لهن قصص النجاح في مواجهة الشدائد وأوضح لهن أن عدم الخروج من دائرة الأحزان يجز الأطفال إلى حالة من الهزال النفسي، والتفكك الاجتماعي، والتشتت الفكري وهم بحاجة ملحة إلى عملية اندماج اجتماعي جديد. هناك الكثير من قصص النجاح لأزواج وزوجات وقعوا في دائرة الطلاق ولكنهم نجحوا في إعمار حياتهم إما بإعادة بناء بيوتهم مرة أخرى مع الاستفادة من دروس الماضي أو ببناء بيوت جديدة المهم أنهم استفادوا من تحديات الأمس في مسيرتهم الجديدة وقاموا برعاية أطفالهم رعاية حسنة كريمة وهو الأمر الذي نسعى إليه دائما وفيه صلاح للأسرة بأكملها، وحماية للمجتمع بأسره ويحقق الرخاء على أسس تربوية قويمه تصون المصالح، وتنمي الطاقات.